جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة ميسان / كلية التربية
قسم اللغة العربية

الفخر في الشعر الجاهلي عمرو بن كلثوم أنموذجاً

بحث مقدم إلى مجلس كلية التربية وهو جزء من متطلبات
نيل شهادة البكالوريوس في اللغة العربية وآدابها

من قبل الطالبة

أعراف هاشم عيسى

بإشراف الدكتور

جبار عباس اللامي

١٤٤٥هـ

2024م

بسم الله الرحمن الرحيم

{ وَمَا يُلَقَّاهَا إِلا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ }

صدق الله العلي العظيم

سورة فصلت - الصفحة: (480)

إهداء

إلى من حملتني وهنا على وهن...
و ظلت ترقب كل خطوة لي على درب الحياة....
فما يزيدها إلا فخراً... إلى نبع الحنان أمي الغالية...

إلى من علّمني أنَّ الحياة إيمان وعمل وصبر ...
إلى رمز الشموخ أبي الكريم.....

إلى اخوتي واخواتي سندي وعوني في الحياة...
إلى كل الزملاء والزميلات وطلبة العلم جميعا.
إلى كل من ذكرنا ولم نذكر ....

لكم جميعاً أهدي ثمرة جهدي.

شكر وتقدير

الحمد لله حمدا كثيرا طيبا يليق بجلال وجهه وعظيم سلطانه...

الحمد لله الذي وفقنا لإنجاز هذا العمل المتواضع .....فله الشكر والحمد

ثم الشكر جزيل الشكر إلى من ندين له بإنجازنا لهذا العمل المتواضع الدكتور" جبار عباس نعمة " على توجيهاته القيمة وإرشاداته ونصائحه السديدة.

الشكر لكل استاذة كلية التربية جامعة ميسان على تعاونهم فلكم جميعا شكراً جزيلاً.

فهرست المحتويات	
الموضوع	الصفحة
الآية	أ
الإهداء	ب
شكر وتقدير	ج
المقدمة	١
التمهيد : تعريف الفخر لغتاً واصطلاحاً ، وترجمة حياة الشاعر عمرو بن كلثوم	٢ – ٤
الفصل الأول: بواعث نشأة الفخر وأنواعه في الشعر الجاهلي	٥ - ١٩
الفصل الثاني : الفخر عند الشاعر عمرو بن كلثوم	٢٠ - ٣٠
الخاتمة والنتائج	٣١ - ٣٢
المصادر والمراجع	٣٣- ٣٦

المقدمة

الحمدُ للهِ ربِّ العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمدٍ وآلهِ الطيبين الطاهرين.

أما بعد:

منذ بدء المرحلة الرابعة وأنا أحمل هم موضوع يكون بحثي فيه، لنيل درجة البكالوريوس وبتوفيقٍ من الله (عز وجل) ومساعدة أستاذي المشرف الفاضل، اهتديت الى موضوع (الفخر في الشعر الجاهلي عمرو بن كلثوم أنموذجاً) مما لا شك فيه أن هذا الموضوع من الموضوعات الهامة في أدبنا العربي، لذا سوف أكتب عنه في السطور القليلة القادمة، متمنياً من الله أن ينال إعجابكم ويحوز على رضاكم. وابدأ ممسكاً بالقلم مستعيناً بالله (عز وجل).

وفي بحثي المتواضع هذا قمت بتقسيمه إلى مقدمة و تمهيد وفصلين وتم التمهيد ببيان الفخر لغتاً واصطلاحاً، وترجمة حياة الشاعر عمرو بن كلثوم،ثم تناولت في الفصلين: جاء الأول بعنوان بواعث نشأة الفخر وأنواعه في الشعر الجاهلي، وقد تناولت فيه أنواع الفخر في الشعر الجاهلي: ذاتي، وقبلي. أما بالنسبة للفصل الثاني تناولت فيه: الفخر عند الشاعر عمرو بن كلثوم. انتهاءً بالخاتمة، أوجزت فيها أبرز النتائج ألتي توصل إليها هذا البحث.

ومن أهم المصادر التي اعتمدت عليها في هذا البحث هي مجموعة من دواوين الشعراء، وديوان الشاعر عمرو بن كلثوم، وعدد من الكتب الأدبية، مثل الأدب الجاهلي، غازي طليمات، وأروع ما قيل في الفخر والحماسة،إميل ناصيف....

أما الصعوبات التي واجهتني في كتابة بحثي، هو قلة الخبرة وسبل الحصول على المصادر، ولكن بعون الله (عز وجل) ومساعدة أستاذي الفاضل، تمكنت من تلافي هذهِ المشكلة.

والحمد لله تعالى الذي قدرنا على استكمال البحث، وكتب لنا التوفيق والسداد، ونسأل الله أن ينال تقديركم وإعجابكم، ففي هذا البحث قد عرضنا عليكم عدد من المعلومات بعد أن مضينا وقت طويل في البحث والمطالعة على مصادر مختلفة.

التمهيد / تعريف الفخر لغتاً واصطلاحاً : ـ

أ – **الفخر في اللغة** : تكاد تجمع المعاجم اللغوية على معنى واضع لكلمة (فخر) فالفراهيدي يقول [١] " فَخِيّرك : مُفاخرك . كالخصيم : تقول : فَاخَرْتهُ فَفَخَرتَهُ وهي نشر المناقب وذكر الكريم بالكرم ... والفخرٌ عند ابن دريد"[٢]:ان يَعْدَ الرجلٌ قَديمّه... " و الجواهري [٣] يقول " إن الفخرٌ هو: الأفتخارٌ وعَدَّ القديم كذلك أَلفَخرُ... وفَاخْرَتْ الرجل فَفَخرتُهُ وأَفْخْرْه فخرا إذا كنت أكرم منه أباً وأماً ".

ويقول ابن زكريا [٤]" في كلمته «فخر الفاء والخاء والراء اصل صحيح وهو يدل على عظم وقِدُم_مِنٌ ذلك الفخر ويقولونٌ في العبارة عَنْ الفخّر ، هو عد القديم... والتفخر : التعظم... والتاقة الفخور: العظيمة الضرع القليلة الدر. وتتكرر مثل هذه المعاني عند ابن زكريا اذ يقول، الفخر: عد القديم وفخرّت الرجل على صاحبه: أفخر فَخراً: اى فضلته عليه.

الفخر في الاصطلاح :- التمدح بالذات.وإذا كان الإنسان مفطوراً على حبِّ نفسهِ والإدلال بها وبمآثرها فالشاعر المتميز برهافة الحسِّ، وفصاحةِ اللسان،وجمال التعبير والتصوير،اقدر من سواه على التفاخر واجدر به."[٥]

قال ابن رشيق: ((الافتخار هو المدح نفسه الإ أن الشاعر يخص بهِ نفسه وقومه.وكل ما حسن في المدح حسن في الافتخار وكل ما قبح فيه قبح في الافتخار)) [٦] .

والعربي بطبيعتهِ انسانٌ فخور، يحبُّ نفسه اولاً ثمَّ اشقّاءه ثمَّ ابناء عمه، ثمَّ قبلته ولكنه في السِّلم ميّال الى الإثار،وقد تنافس الفرسان في المجدِ ،حتى ينالوا السمعة الحسنة، فيفتخر الشاعر الفارس بنفسه وفعال قومه...، اما مقومات الفخر فهي مقومات الفروسية نفسها والفتوة كذلك، يفخر الشاعر بشرفهِ وشرف قومه فهو شجاع مرهوب، وفتي مرغوب، وكريمٌ ذو نارٍ لا تنطفأ.

---

[١] - كتاب العين ، الخليل ، تح : مهدي المخزومي : ٤ / ٥٤ .
[٢] - جمهرة الأمثال، ابن دريد، تح: رمزي منير : ٢٠١
[٣] - الصحاح، لجواهري، تح: أحمد عبد الغفور عطار : ٦٦
[٤]- معجم مقاييس اللغة، ابن زكريا، تح: عبد السلام هارون : ١٨٨
[٥]- الأدب الجاهلي قضاياه اغراضه وفنونه د،غازي طليمان : ١٣٥
[٦]- شرح شعر زهير ابن ابي سلمى، ابو العباس ثعلب ، تح فخر الدين قبواة : ٥٢_٧٥

يقول بلاشير: ((من العسير ايجاد مرادف مقبول لكلمة الفخر، ولا تشير الكلمة في الذهن فكرة النوع الأدبي، بل موقفاً يدعو الشاعر الى التميز من قبيلتهِ أو الانتصاب تجاه العدّو ذاكراً محاسنه وصنائعه الفردية أو مآثر اسرته أو عشيرته، فيصبح الشاعر لمدة وجيزة مركز عالمه الذاتي))

وكلّما شعر الشعار بالحيفِ والظلم كلّما انتفضت وأعلى قدرها فوق اقدار الآخرين، وقد وجدنا الصعاليك يفتخرون بأنفسهم ويهجون اعدائهم، واكتشفنا أنَّ التَّبجُّح حاق بمديحٍ بصفهم والكذب وسم هجاء بصفهم الآخر[1] .

ب - ترجمة حياة الشاعر عمرو بن كلثوم:

هو أبو عبّاد عمرو بن كلثوم بن مالك بن عتّاب بن سعد بن زهير بن جُشم بن بن بكر بن حبيب بن عمرو بن غنم بن تغلب بن وائل بن قاسط بن هنب بن افصى بن دعمّي بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معدّ بن عدنان.

أما تاريخ ولادته فلا نعرف عنه شيئاً إذ لم تذكره المصادر التي بين أيدينا،وقد جعل كوسين دي برسفال مولده حوالي السنة ٢٢٥م وكلّ ما نستطيع تأكيده هو أن الشاعر عاصر عمرو بن هند (٥٥٤م-٥٧٠م)، وأنه ادرك النعمان بن المنذر (٥٨٠-٦٠٢م)، فهجاه.

وأمّا مكان ولادته، فهو ايضاً غير معروف بالتحديد، وأغلب الظن أنّه ولد في بلاد ربيعة،أي شمالي الجزيرة العربية.

وكان والده من سادات قومه، فتزوج ليلى بنت المهلهل (عديّ بن زيد) الشاعر الفارس الذي اشتهر في حرب تغلب وبكر، فنشأ عمرو يكتنفه الشرف من الطرفين في قبيلة كانت من أقوى القبائل العربية في العصر الجاهلي، أن لم تكن اقواها."[2].

وقد قيل فيها: ((لو أبطأ الاسلام قليلاً لأكلت بنو تغلب الناس)) [3].

---

[1] - الأدب الجاهلي وبلاغة الخطاب، الدكتور عبد الإله الصائغ : ٤٢٠

[2] - ديوان عمرو بن كلثوم، تحقيق الدكتور إميل بديع يقوب،دار الكتاب العربي،بيروت،ط١،ص١٠

[3] - شرح القصائد العشر، الخطيب التبريزي، تح: فخر الدين قباوة،ص٣١٨

نشأ عمرو بن كلثوم إذن، في بيت اسياد تغلب، هذه القبيلة المرهوبة الجانب، فكان من الطبيعي، أن يكون معجباً بنفسه، فخوراً بأهلهِ وقومه. ويظهر أنَّ شاعرانا توافرت فيه من الخصال الحميدة كالشاعرية، والفروسية، والخطابة، والكرم، والشجاعة، ما جعله يسود قومه في سن مبكرة، فقد ذُكِرَ أنَّه ساد قومه وهو أبن خمس عشرة سنة"[١].

أمّا أخباره فلم يصلنا منها إلا النزر القليل، ومنه أن الشاعر قضى حياته مدافعاً عن قومه مشاركاً إيّاهم في الحروب والغزوات، متنقلاً معهم كرّاً وفراً حتى وافته المنية" [٢].

- ديانته وأخلاقه :-

كان عمرو بن كلثوم نصرانياً، على الاغلب، وذلك لإنَّ نصرانية تغلب ثابته حتّى القرن الثالث والرابع بعد الهجرة [٣] .

لكن ليس في ديوانه وأخباره التي وصلت إلينا ما يؤكد ذلك. أمّا صفاته وأخلاقه، فيظهر من أخباره شعره أنّه كان فارساً مقداماّ، سيداً في قومه، شاعراً مفلقاً، شديد الأنفة الى حد الكبرياء، فخوراً بنفسه وبقبيلته الى حد الادعاء الصِّبياني، كريماً سخياً،فتاكاً، وقد ضُرِبَ المثل بفتكهِ فقيل ((أفتك من عمرو بن كلثوم))[٤].

- **وفاته** : - لم تذكر لنا المصادر العربية السنة التي توفيَّ فيها عمرو بن كلثوم، مثلما لم تذكر سنة ولادتهِ، لكن من المؤكد أنّه عمّر طويلاً، فقد ذكر الأصفهاني أنّه عمّر مئةً وخمسين سنة[٥].

---

[١] - كتاب الأغاني، لأبي الفرج الأصفهاني، تح : إحسان عباس ، ٤٧،١١

[٢] - المصدر ديوان عمرو ، تح : إميل بديع ،ص١١

[٣] -النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية، الأب لويس شيخو،ص١٢٥

[٤] جمهرة الأمثال، للعسكري، تح: أحمد عبد السلام، ص١١٢،٢

[٥] كتاب الأغاني، أبو فرج الاصفهاني، تح: إحسان عباس، ص٤٧،١١،٥٣

الفصل الأول / بواعث نشأة الفخر وأنواعه في الشعر الجاهلي :

بدأت نشأة الفخر في الشعر الجاهلي نشأةً عفويةً، انطلاقاً من غلبة النزعة القبلية في هذا الغرض الشعري، وقد غذّى هذه النشأة عدّة عوامل، أهمّا :

١- الأسواق الأدبية: كانت تقام في الجاهلية أسواق شعرية موسمية يذكر فيها محاسن القبائل وفضائلها كسوق عكاظ وسوق ذي المجاز، وكان الهدف من إقامة هذهِ الأسواق مناشدة الأشعار وتبادل الأخبار، فكانت مركزاً هاماً من مراكز التنافس والتفاخر بين الشعراء، كما حدث مع الشاعر حسّان بن ثابت في رده على قرار النابغة الذبياني عندما أنشدته الخنساء شعراً بعد الأعشى، فقال لها: لو لا أن الأعشى أنشدني قبلك وحكمت له لقلت أنك أشعر الناس فلم يرضَ حسّان بهذا الرأي، فأخذته العصبية الجاهلية، وانبرى قائلاً: أنا والله أشعر منك ومنها فأنشد شعراً يتفاخر بقومه[١].

لَنا الجَفَناتُ الغُرُّ يَلمَعنَ بِالضُحى وَأَسيافُنا يَقطُرنَ مِن نَجدَةٍ دَما

وَلَدنا بَني العَنقاءِ وَابني مُحَــرِّقٍ فَأَكرِم بِنا خالاً وَأَكرِم بِنا اِبنَما

نجد ملامح الفخر واضحة جلية في بيتي حسان، فقومه هم القوم الكرام الذين كانت تنصب لهم أوعية ضخمة من الطعام ضحىً يأكل منها الناس وفي الوقت نفسه أسيافهم تقطر دماً لكثرة نجدتهم لغيرهم.[٢]

٢-الحروب: إنَّ التاريخ العربي قبل الإسلام حافل بالحروب التي دارت رحاها لسنواتٍ تلك الحروب الضروس التي أكلت الأخضر واليابس كحرب(البسوس) بين قبيلتي تغلب وبكر وحرب (داحس والغبراء) بين قبيلتي وعبس وذبيان التي راح يغذّيها ويشعل لهيبها الشعراء بأشعارهم عن تلك التي تقامُ في الأسواق الأدبية؛ إلا أنها أشدّ عاطفة وأكثر صدقاً، لان أكثر الشعراء الذين نظموا هذهِ الأشعار فرسان أشداء يطاعنون بالأسنة والرماح كما يطاعنون بالأشعار والأراجيز في حلبات الصراع يروعون بها الخصوم، يثيرون الحمية ويحرضون على الكرّ والفرّ،ويتفاخرون بالأمجاد والانتصارات، ثم يصبح ما يقولون مثلاً أعلى تقدسه القبيلة غاية التقديس[٣].

---

[١]- خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب ، عبد القاهر بن عمر البغدادي ، تح : عبد السلام هارون : ١١٠ ، ١١١.
[٢] - ديوان حسان بن ثابت الأنصاري ، تح : عبد أمهنا ، ص ٤٠ .
[٣] - الأدب الجاهلي ،قضاياه ، أغراضه ، أعلامه ، غازي طليمات، بيروت ، دار الفكر ، ص١٧٠ .

فهـا هـو المهلهـل عـدي بـن ربيعـة ألتغلبـي فـارس تغلـب وشـاعرها يتفـاخر بقتلـه البكـريين الـذين قتلـوا أخـاه كليبـاً، قـال إلـى نفسـه إلا أن يأخـذ بثـأره مـنهم، وأن يقاتلهم أين ما وجدهم، فيقول متفاخراً بإسرافه في سفك دماء بني بكر[1].

أَقولُ لِتَغلِبٍ وَالعِزُّ فيها
أَثيروها لِذَلِكُمُ اِنتِصارُ
تَتابَعَ إِخوَتي وَمَضوا لِأَمرٍ
عَلَيهِ تَتابَعَ القَومُ الحِسارُ
خُذِ العَهدَ الأَكيدَ عَلَيَّ عُمري
بِتَركي كُلَّ ما حَوَتِ الدِيارُ
وَهَجري الغانِياتِ وَشُربَ كَأسٍ
وَلُبسي جُبَّةً لا تُستَعارُ
وَلَستُ بِخالِعٍ دِرعي وَسَيفي
إِلى أَن يَخلَعَ اللَيلَ النَهارُ
وَإِلّا أَن تَبيدَ سَراةُ بَكرٍ
فَلا يَبقى لَها أَبَداً أَثارُ

فيـردُّ عليـه جسـاس بـن مـرة البكـري فـارس قومـه، متفـاخراً بقتلـه كليبـاً سـيد قومـه وفارسـهم الـذي عقـر ناقـة البسـوس خالـة جسـاس، لأنهـا كانـت ترعـى مـع إبلـه، فلـم يـرضَ جسـاس صـنيعته، فاسـتلَّ سـهمه وشـكه فـي ظهـر كليـب، فـأرداه قتيلاً فقال متفاخراً بصنيعه هذا[2].

[1]- ديوان المهلهل عدي بن ربيعة ، تح ، أنطوان محسن القوال : ٢٧ .
[2] -- ديوان بني بكر ، تح : عبد العزيز بنوي ، دار الزهراء ، القاهرة: ص ٣٩٨، ٣٩٩ .

أَبلِغ مُهَلهَلَ عَن بَكرٍ مُغَلغَلَةً

مَنَّتكَ نَفسُكَ مِن غَيٍّ أَمانيها

تَبكي كُلَيباً وَقَد شالَت نَعامَتُهُ

حَقّاً وَتُضمِرُ أَشياءَ تُرَجّيها

فَاِصبِر لِبَكرٍ فَإِنَّ الحَربَ قَد لَقِحَت

وَعَزِّ نَفسَكَ عَمَّن لا يُواليها

فَقَد قَتَلنا كُلَيباً لَم نُبالِ بِهِ

بِنابِ جارٍ وَدونَ القَتلِ يَكفي

نَحمي الذِمارَ وَنَحمي كُلَّ أَرمَلَةٍ

حَقّاً وَنَدفَعُ عَنها مَن يُعاديها

٣- الغارات: كما كانت الحروب مواطن الفخر بين الشعراء الفرسان كذلك كانت الغارات مواطن الفخر بين الشعراء الصعاليك الذين عُرفوا بإغارتهم على قوافل التجار وقطيع أشراف الأقوام لأنهم يرون أن في أموال هؤلاء حقٌ لهم ويتوجّب عليهم إعطاءها لهم إمّا طواعية أو بالسلب والنهب، فهم يفتخرون بسلبهم قافلة تجارٍ أو نهب قطيع سيدٍ، فها هو الشاعر الصعلوك الشُنفرى يتفاخر بإغارته على قومٍ في ليلة باردة شديدة البرودة، وكيف أصبح القوم يتسألون بينهم عندما هرّت كلابهم أهذا الذي جاء في هذهِ الليلة الظلماء ذئب أم ضبع أم صقر أم جن؟ لأنهم تيقّنوا أن الذي فعل هذه الفعلة ليس إنساناً لشدةِ سرعتهِ في أخذِ مراده منهم ثمّ الفرار، فيقول واصفًا هذهِ الحادثة [١] :

وليلةِ نَحْسٍ يَصْطَلِي القَوْسَ رَبُّها

وأَقْطُعَهُ اللاتِي بها يَتَنَبَّلُ

وأَصْبَحَ عَنِّي بالغُميصاءِ جالِساً

فَريقانِ مَسؤولٌ وآخَرُ يَسأَلُ

[١] - ديوان الشنفرى ، تح : إميل بديع : ص ٧٠ ، ٧١ .

فقالوا لقد هَرَّتْ بليلٍ كلابُنا

فقُلنا أذِئْبٌ عَسَّ أمْ عَسَّ فُرْعُلُ

فلم تَكُ إلاَّ نَبأةٌ ثم هَوَّمَتْ

فقُلنا قَطاةٌ رِيعَ أمْ رِيعَ أَجْدَلُ

فإنْ يَكُ مِن جِنٍّ لأَبْرَحُ طارِقًا

وإنْ يكُ إنْساً مَاكَهَا الإنسُ تَفعَلُ

لقد غلب على الفخر في الشعر الجاهلي النزعة القبلية والفردية انطلاقاً من وحي المناظرات والحروب والغارات حيث وجدَ الشاعر الجاهلي نفسه في خضم القتال الذي فرضته الأعراف والتقاليد الجاهلية، فهو أبن بيئته لا يمكن أن يشذّ أو يخرج منها، ولإن طبيعة المجتمع الصحراوي الذي يعيش فيه مجتمع حافل بالمخاطر والحروب والتنازع من أجل البقاء، فكان لابدّ من إعلاء شأن القبيلة والتفاخر بأمجادها وبطولاتهم، لذا فإنّ الفخر لم يكن حكراً على فئة معينة من الشعراء دون غيرها؛ بل كان الحظ الشائع بين الشعراء، فلا تكاد تقرأ ديوان شاعر ما ولا تجد فيهِ نصيبٌ من الفخر، فازدهاره لم يكن طفرة شعرية، وانّما كان فطرة إنسانية -عاشها الشاعر الجاهلي- تملكت شعوره الإنساني وفكره، فكانت درجة المبالغة في الفخر ترتفع أحيانًا في المناسبات الشعرية والحروب القبلية أكثر منها في أوقات السلّم والاستقرار.

أنواع الفخر في الشعر الجاهلي

الفخر الذاتي : هو الفخر الذي يتغنى فيه الشاعر بمزاياه الشخصية مناسقاً وراء دوافع وبواعث خاصة منها،الرغبة في الشهرة أو إثبات المقدرة، وكثيراً ما تسهم البيئة الخاصة والظروف الشخصية المحيطة بالشاعر في رفد هذا الفخر بمعاني وأفكار خاصة، ويضفي عليه طابعاً مميزاً، وهو يؤكد قيماً ومبادئ مستمدة من واقع معيشتهم [١].

كما يوضح غازي طليمات وعرفان الأشقر: أن مبعث هذا الفخر هو إعجاب الشاعر بذاته أي بنفسه وصفاتها."[٢]

يقول: محمد زغلول سلام في تعريفه للفخر الذاتي: (هو ما يدور حول عقل الشاعر، قلبه،لسانه،ساعديه،وحول آبائه،وأجداده)[٣] .

كما يقول إميل ناصيف: (هو اعتزاز الفرد بنفسه والتغني بالبطولة والإقدام، وهو فخر بالانتماء إلى قبيلة عزيزة ونسب رفيع فالشاعر يحتل فيها الزروة من رؤساءها)[٤].

كما يقول: يحيى الشامي (هو امتداح الشاعر نفسه وتعظيمه لصفاتها). [٥]

وإدعاؤه تفوقه على من حوله، وقدرته على تهديد الناس بسلاح لا يملكون مثله يرفع به ويضع به ويعد ويتوعد"[٦]

كما عرّفه غازي طليمات وعرفان الأشقر: هو اعتزاز الشاعر بمكانته بين الناس، وزهوه بالمنزلة ألتي تبوأها في قصور الملوك، وشاعريته ألتي سارت بذكره، في المشارق والمغارب وأتاحت لها أن يرفع ويضع، ويغضي بين الخصوم ويجالس الأمراء،"[٧].

---

[١] - المعنى في النقد العربي القديم ، حسين لفتة حافظ : ١٢٦ .
[٢] - الادب الجاهلي ، طليمات الأشقر ، غازي طليمات وعرفان الأشقر : ١٧١ .
[٣] - أروع ما قيل في الفخر والحماسة ، إميل ناصيف : ٦ .
[٤] - مدخل في الشعر الجاهلي ، محمد زغلول سلام : ١٦١ .
[٥] - أروع ما قيل في الفخر ، يحيى الشامي : ٥ .
[٦] المصدر السابق ، طليمات الأشقر ، غازي طليمات وعرفان الأشقر : ١٧١ .
[٧] - المصدر نفسه ، ص ٤٢٠ .

وكثير من الأحيان يشمخ بنفسه، ويتطاول بها حتى يجعلها في منزلة تضاهي منزلة القبيلة، فلم يدع صفة من صفات البطولة والفتوة، الإ الصقها ولا خصلة من خصال النبل والكرم الإ جعلها ميزة من مزاياها[1] .

ويفخر كذلك بمجموعة من الصفات ألتي يتضمنها، مثل خلق المرؤة عن العرب القدامى، وهي سلوك الفتاوى، النجدة، الحلم، والشجاعة، والكرم، والعفة، والوفاء، وغيرها[2] .

ونحس ذلك جلياً في فخر الشعراء الصعاليك، فالشاعر الصعلوك كثيراً ما يفخر بقدرته على مغالبة قسوة الحياة، وشظف المعيشة،والتيقظ، وعشق الحرية الفردية[3] .

وكان الشاعر في العصر الجاهلي يتغنى إحكامه من الصور الجمالية، ويركز على صفاء النية وسحر اللفظة، ودقة المعنى، وكان النقاد يؤثرون شاع على آخر بجمع من الجموع، أو كلمة من الكلمات أحياناً [4]، وقد اتسع ميدان الفخر حيث لا حدود يقف عندها لاسيما الفخر الذاتي، فالإنسان المعاصر كالشاعر الجاهلي مازال يمتدح فعاله ويفخر بمناقبه، وقد يفتخر بذكرياته وبتاريخه الماضي وما فعل فيه كذلك بتجاربه وبصواب رأيه بل قد يفخر بالصفات التي يحبّها في الآخرين وقد لا يكون متحلّيًا بها، وإنمّا يفخر بما يهواه ويؤمن بمثاليته، لذلك كان الشاعر الجاهلي يحدثنا في فخره الشخصي عن نفسه ويتحدث عن كرمه في أحوال المختلفة، أو عن مكرمة من المكارم ألتي يعدّ بها ويراها قيمة من قيم المجتمع ألتي تدفعه وتجعل له الشهرة كقري الضيف، ورجاحة العقل، وطيب النسب، والحسب وكرم الأخلاق، والشجاعة وغيرها [5]. ، فالشعراء الجاهليون ميّالون إلى عدّة مفاخر، منها الفخر بالفصاحة، وهي ألتي يعتدّ بها الشاعر لنفسه، وينبذ بها غيره من الناس بلسانه الذرب وقوافيه المنقضة على الخصوم، كالصواعق وقدرته على أن يفري بلسانه مالا يستطيع السيف أن يفريه، وكلّما أصبح الشاعر ذا شهرة وتمكن من فنه كان سلطانه على الناس أشدّ ونزاله في مضمار المنافرة اضرى، فإذا أحتدم التفاخر بين شاعرين بلغ اعتزاز الشاعر بشعره قمة العنف، وغاية التحدي، لإدراكه أنّه ينازل قرناً له مثل سلاحه وناداً لديه الفصاحة في القول واللدّ في الخصومة.

---

[1] - شرح المعلقات السبع ، للزوزني ، معلقة طرفة : ٨٢ ، ٨٦ .
[2] - المصدر السابق ، إميل نصيف : ٦ .
[3] - المعنى في النقد العربي القديم ، حسين لفتة حافظ : ١٢٦ .
[4] - أروع ما قيل في الفخر ، إميل ناصيف : ٦ .
[5] - خصوصية القصيدة الجاهلية ومعانيها المتجددة ، محمد صادق عفيفئ : ٤٤٠ ، ٤٤١ .

وقد تفاخر النابغة الذبياني يزيد بن عمرو بن الصعق، -وكلاهما شاعر- فرماه بالضلال والزيغ غن الحق، وبالعجز عن الفخر، وهدده بقوافيه القادرة على صعقه وسحقه، وأي شاعر يشمخ بنفسه، ويسبب خصومه فأصبح يفاخر النابغة وهو شيخ عكاظ وفحل القصيدة وخصمه أمامه كالصقيل الهزيل[1] .

لَعَمرُكَ ما خَشيتُ عَلى يَزيدٍ ..... مِنَ الفَخرِ المُضَلَّلِ ما أَتاني

فَحَسبُكَ أَن تُهاضَ بِمُحكَماتٍ .... يَمُرُّ بِها الرَويُّ عَلى لِساني

يَصُدُّ الشاعِرُ الثَنيانُ عَنّي.....صُدودَ البَكرِ عَن قَرمٍ هِجانِ[2].

وإذا خالط الفخر بالشعر مدح العظماء لإنّ، انكسرت شوكته، أثر المسالمة على المخاصمة، وخلع الشاعر على فخره جناحين يطيران به إلى الممدوح ويردان به الأسماع وينشران ذكره في الآفاق.

قال المسيب بن علس:

فَلأَهْدِيَنَّ مع الرياحِ قصيدةً ..... مني مُغَلْغَلةً إِلى القَعْقاعِ

تَرِدُ المِياهَ فما تزالُ غَريبةً .....في القومِ بين تَمثُّلٍ وسماع[3] .

وإدلال الشاعر بشعره حمله على أدلال بالعقل الذي ينظم الشعر والرأي القادر على فهم المشكلات وحل المعضلات، قال عبدة الطيب :

وثنيّة من أمر قوم عزّة ... فرجت يداي وكان فيها المطلع[4].

وأحسن الرأي ما قمع الباطل، ومحق الخرق، وأصاب الرأي في مجتمع محارب كمجتمع الجاهلية قلة، كما اعتدّ ثعلبة بن صعير بذكائه لأنه استطاع بمنطقه السليم أن يكسب المبغضين، فاخرج ما في قلوبهم من دخائل، ودحض مافي قلوبهم من ترهات:

ولربّ خصم جاهدين ذوي شذا ... تفذي صدورهم بهتر هاتر

لدّ ظأرتهم على ما ساءهم ... وخسأت باطلهم بحقّ ظاهر

---

[1] - الأدب الجاهلي، طليمات الأشقر ، غازي طليمات وعرفان الأشقر : ١٧٢ ، ١٧١ .
[2] - ديوان النابغة الذبياني ، تح : يحيى حمدو طماس : ١١٢ .
[3] - المرجع السابق ، طليمات الأشقر ، غازي طليمات وعرفان الأشقر : ١٧٢ .
[4] - شعر عبدة الطيب ، عبدة الطيب تح : يحيى الجبوري : ٤٩ .

والفخر بالشعر موصول بالنسب وبحلاوة الحديث، وبسمو اللفظة وطلاوة السمر، وقد يتخذ الشاعر الجاهلي مأثرة تلك شفيعاً له عند محبوبته، أو زينةً يتحلى بها ليفوز بإعجابها وفخرها به وأثارها له، وشعر لبيد في هذا كان حريصاً على أن يكون المفتخر القوي والمتحدث الفصيح، والسيد الكريم، يصل من يستحق القطيعة ويبيت مع سماره في الليالي الهادئة، يحدثهم فيضعون له وينشدهم فيطربون، ويريق لهم الخمر فيشربون[1].

إنّه درة العقد في هذا المجلس الذي ينظمه الشعر، فبفصاحته يملأ عين نوارة وقلبها:

أَوَلَم تَكُن تَدري نَوارُ بِأَنَّني.....وَصّالُ عَقدِ حَبائِلٍ جَذّامُها

بَل أَنتِ لا تَدرينَ كَم مِن لَيلَةٍ.....طَلَقٍ لَذيذٍ لَهوُها وَنِدامُها

قَد بِتُّ سامِرَها وَغايَةُ تاجِرٍ.....وافَيتُ إِذ رُفِعَت وَعَزَّ مُدامُها[2] .

كما بدا للدراسة: أن كلَّ شاعر يسمو بشعره ويفتخر بفصاحتهِ وبلاغته مما يدل على، رجاحة عقلة، وفصاحته لفظته، وطلاوة لسانه، كما تلحظ الدراسة: أن الشاعر الجاهلي قادر على أن يؤرجح الألفاظ مما يجعلها مؤثرة في السامع، متحلياً بفصاحتهِ التي تجعله اقوى من ندهِ واقدر، في أن يلتمس عناصر تعبيريه أبلغ في الفخر من الآخر، مما يدل على أن الفصاحة سمة مهمة من سمات الفخر الذاتي التي يتغنى بها شعراء ذلك العصر.

وكذلك من المفاخر التي كان يميل إليها الشعراء في الجاهلية شرب الخمر، ولم تكن الخمرة مفخرة في حدِّ ذاتها، ولكن ما تدل إليه، وكان الشعراء يعتبرونها سمة من سمات الفخر الذاتي أي نهى تدل على الكرم وقد أشتهر بعض الشعراء بالفخر بها ومن أفضل الشعراء وأحسنهم مفاخرة بها هو عنترة بن شداد، فقد كان مدرك ما تقود إليه أم الكبائر من سقوطه في الفاحشة، وذهاب الهيبة، وإضاعة الوقار، ففخر منها بصلها بالكرم، والتزم الحفاظ على الفضيلة بعد الصحو،فقال :

فإذا شَرِبْتُ فإنَّني مُسْتهلِكٌ.....مالي وعِرضي وافِرٌ لم يُكلَمِ

وإذا صَحَوْتُ فما أُقصِّرُ عن نَدًى.....وكما علِمْتِ شَمائِلي وتَكرُّميئ[3] .

---

[1] - الأدب الجاهلي ، طليمات الأشقر ، غازي طليمات وعرفان الأشقر ، ١٧٢ ، ١٧٣ .
[2] - ديوان لبيد بن ربيعة العامري ، تح : عمر فاروق الطباع : ١٧٥ .
[3] - ديوان عنترة بن شداد ، تح : حمدو طماس : ٨٢ .

كما فخر طرفة بن العبد، وقد تباهى بملازمة الحانات، فيقول في فخره :

وَإِنْ يَلْتَـقِ الحَيُّ الجَمِيْـعُ تُلاَقِنِـي....إِلَى ذِرْوَةِ البَيْتِ الشَّرِيْفِ المُصَمَّـدِ [1].

وقد أدمن طرفة الشباب حتى اغرق فيه الرجولة، وبدد المال، وقطع صلته بالناس، فأنتبذه قومه، وتجنبوه كما يتجنبون المجذوم الأجرب، فقال في ذلك :

ومازال تشرابي الخمور ولذَّتي..... وبيعي وإنْفاقي طريفي ومُتْلَدي

إلى أنْ تحامتني العشيرة كُلهّا.....وأفْرِدْتُ إفرادَ البعير المعُبد[2].

وتلحظ الدراسة أن الشاعر الجاهلي زاخر في فخره الفردي بالزهو بالنفس، وإعلاء مكانتها، ورفع شأنها، كما ورد في معلقة طرفة بن العبد حيث يقول:

أَنا الرَجُلُ الضَربُ الَّذي تَعرِفونَهُ.....خَشاشٌ كَرَأسِ الحَيَّةِ المُتَوَقِّدِ

فَآلَيتُ لا يَنفَكُّ كَشحي بِطانَةً.....لِعَضبٍ رَقيقِ الشَفرَتَينِ مُهَنَّدِ

حُسامٍ إِذا ما قُمتُ مُنتَصِراً بِهِ.....كَفى العَودَ مِنهُ البَدءُ لَيسَ بِمِعضَدِ

أَخي ثِقَةٍ لا يَنثَني عَن ضَريبَةٍ.....إِذا قيلَ مَهلاً قالَ حاجِزُهُ قَدّي

إِذا اِبتَدَرَ القَومُ السِلاحَ وَجَدتَني.....مَنيعاً إِذا بَلَّت بِقائِمِهِ يَدي[3].

كما يبدوا في هذا النص: أن الفخر الذاتي يصور ما بالشاعر من هيبة وكرامة، ويثير حماسته،ويقود الشاعر إلى التغني بكل ما يراه جميل وما يستمتع به من صفات، ومزايا، ومنها شرب الخمر الذي يراه بعض الشعراء أنه أجمل الصفات ألتي يتصف بها وأن وفرتها تدل على الكرم، فالخمر له صلة بالفخر الذاتي ويعد سمة من سمات الفخر الذاتي.

---

[1] - ديران طرفة بن العبد ، تح : مهدي محمد ناصر الدين : ٤٢ .
[2] - المصدر نفسه : ٤٤ .
[3] - المصدر نفسه : ٤٥ .

وكان الشاعر الجاهلي يفخر ببطولته وشجاعته وذوده عن حياض القبيلة وحماها، أحيانا يزعم أن قومه يستظلون بحمايته، ويأوون لائذين بقوته ليدفع عنهم بأس الأعداء. فها هو عامر بن طفيل يعلو صوته مدوياً بإفراد جناحيه على قبيلته، ورعايتها وصونها من اعتداء المعتدين، وأذى الطامعين، فيقول :

إنّي وَإن كُنتُ اِبنَ سَيِّدِ عامِرٍ.....وَفارِسَها المَندوبَ في كُلِّ مَوكِبِ

فَما سَوَّدَتني عامِرٌ عَن قَرابَةٍ.....أَبى اللَهُ أَن أَسمو بِأُمٍّ وَلا أَبِ

وَلَكِنَّني أَحمي حِماها وَأَتَّقي.....أَذاها وَأَرمي مَن رَماها بِمَنكِبِ[1].

كما يفخر المزرد بن ضرار الذبياني يفخر بكونه فارس ذيبان يحمي ذمارها ويرد عنها الفرسان، ويفخر بفرسه (الصريح)، الذي يعزف الحان البطولة [2].

فيقول:

وقد علمت فتيان ذبيان أنني.....أنا الفارس الحامي الذمار المقاتل

وإني أرد الكبش والكبش جامح.....وأرجع رمحي وهو ريان ناهل

وعندي إذا الحرب العوان تلقحت.....وأبدت هواديها الخطوب الزلازل

طوال القمرا قد كان يذهب كاهلا.....جواد المدى والعقب والخلق كامل

أجشّ صريحيّ كأن صهيله.....مزامير شرب جاوبتها الجلاجل[3].

كما جاء في فخر الأعشى واعتدادته بمكانته بين الناس وزهوه بالمنزلة التي تبوأها، وفخره كان على أدلاله بقوته القادرة على قمع العداوة من نفوس الخصوم وهم أذلاء الأعناق فيقول:

ولقد أمنح من عاديته.....كل ما يحسم من داء الكشح

وقطعت ناظريه ظاهرا.....لا يكون مثل لطم وكمح

وترى الأعداء حولي شزرا....خاضعي ال"أعناق أمثال الوذح[1].

---

[1] - ديوان عامر بن طفيل ، تح : محمد الجادر : ١٣ .

[2] - ديوان بن ضرار ، تح : أحمد بن أمين الشنقيطي : ٣٥ .

[3] - المفضليات ، المفضل الضبي، تح : احمد محمد شاكر ، وعبد السلام محمد هارون ، :٣٠٧ .

ومن مفاخرة السفر واحتمال النصب في قطع الفلوات، واجتياز المهامه من غير خوف ولا ضعف ولا ذلة فيقول في ذلك :

فَأَيَّةَ أَرضٍ لا أَتَيتُ سَراتَها.....وَأَيَّةُ أَرضٍ لَم أَجُبها بِمَرحَلِد[٢].

وافتخر بأفضل الفضائل له، وهي وقاره وحلمه، وعفوه عن من يسئ إليه من أقاربه وأصحابه فيقول:

وَإِنّي لَتَرّاكُ الضَغينَةِ قَد أَرى.....قَذاها مِنَ المَولى فَلا أَستَثيرُها

وَقورٌ إِذا ما الجَهلُ أَعجَبَ أَهلَهُ.....وَمِن خَيرِ أَخلاقِ الرِجالِ وُقورُها

وَقَد يَئِسَ الأَعداءُ أَن يَستَفِزَّني.....قِيامُ الأُسودِ وَثبُها وَزَئيرُها [٣].

الفخر القبلي : فيعرفه محمد صادق عفيف: هو أن يفخر الشاعر بقومه ويذكر فضائلهم» ويتحدث من خلاله عن قومه وسيادتهم وكرم نسبهم وأصالتهم أي هو الزهو بأمجادهم الاحياء منهم والأموات. أي أنه يفاخر بالأمجاد القدامى وبماضيهم وبشجاعتهم وبجودهم وقوتهم وعراقة نسبهم والاستعلاء بهم[٤].

كما يقول: حسين لفته حافظ عن الفخر القبلي هو فخر بالقبيلة أو فخر بالنفس ونسبّها للقبيلة أو فخر بعزتها وهو أن يتجاوز الشاعر لنطاق الذات ليفتخر بفضائل قبيلته وتطرى على أمجادهم.

فينطلق الشاعر فيها من ارتباطاته الوثيقة بهذه المنظومات السياسية والاجتماعية؛ فهو ابن القبيلة البارئ يزيع مفاخرهم ومآثرهم بين القبائل الأخرى؛ عبر اشعارهم التي كانت تقيمها العرب في الأسواق"[٥]. وهو ارتباط الفرد بالقبيلة وهو مظهر من مظاهر الحياة البدوية في العصر الجاهلي» فرضته شدة الصراع بين القبائل المختلفة» وضراوة الزاحم على الموارد والمراتع» وحاجة القبائل في هذا الصراع إلى التضامن الشديد وإلى استخدام الأسلحة المادية والمعنوية المختلفة» ولذلك كان الشعر الحماسي أهم الأسلحة المعنوية في سُوح المعارك؛ فقد ندب الشعراء فنهم بهذا الواجب القبلي فبعثوا بأنفاسهم الملتهبة روح الحمية» وسعروا بصيحاتهم الغاضبة نار العصبية» ورغبوا أبناء القبيلة في الاندفاع إلى ميادين القتال مظلومين أو ظالمين» معتدين أو منتقمين»

---

[١] - ديوان الأعشى ، تح : محمد حسين : ٣٥٥ .
[٢] - المرجع السابق : ٣٥٥ .
[٣] - المرجع السابق ، الأعشى : ٣٧٣.
[٤] - خصوصية القصيدة الجاهلية ومعانيها المتجددة ، عفيف ، محمد صادق حسن عبدالله ، دار الفكر العربي: ٢٤١
[٥] - المعنى في النقد العربي القديم ، لفتة ، حسين لفتة حافظ ، دار صفاء للنشر ، ط١ : ١٢٧

وافتخروا بشيم وقيم تزيدهم تلاحماً ومن هذه القيم: القتال قبل السؤال: قبل كل صراع يحتدم كان الفخر القبلي الدافع إلى النصر ويعد كل معركة خاسرة هو المحرض على الثأر تهدر منه صرخات الغضب ومنه ينطلق زئير الوعيد و به يجبه الشاعر تهديد العدو بتهديد أشدّ منه؛ أرادا بنو شيبان نفي بني مازن عن ماء لهم؛ يقال له سفوان وادَعَوًا أنه لهم؛ فرد عليهم ودّاك بن ثميل المازني ردا عنيفا وتوعدهم بجياد أعراب تلقاهم في سفوان يمتطيها فرسان أشدّاء مدججون بالسلاح: إذا استنفرهم الشاعر نفروا ولم يسألوا عن زمان المعركة ومكانها[1]، قال ودّاك :

رويدا بني شيبان بعض وعيدكم ... تلاقوا غدا خيلي على سفوان

عليها الكماة الغرّ من آل مازن ... ليوث طعان كلّ يوم طعان

إذا استنجدوا لم يسألوا من دعاهم ... لأيّة حرب أم لأي مكان[2].

ومهما يبلغ حظ الشاعر من حصافة الفكر فرأي القبيلة فوق رأيه؛ وعليه أن ينصاع للكثرة الغالبة سواء أكانت على حق أم على باطل أغار دريد بن الصمة وأخوه عبدالله في جمع من قومهما على غطفان؛ وساقوا إبلها ثم نزلوا ليقتسموا فأشار عليهم دريد بالسير قبل أن تدركهم غطفان فأبوا ونزل دريد عن رأيه وأخذ برأي القوم؛ فما كادوا ينيخون ويشعلون النار حتى أدركتهم غطفان واستردت إبلها دريداً طعنة كادت تتلفه . وقتلت أخاه عبد الله فقال دريد :

أَمَرتُهُمُ أَمري بِمُنعَرَجِ اللِوى....فَلَم يَستَبينوا النُصحَ إِلّا ضُحى الغَدِ

فَلَمّا عَصوني كُنتُ مِنهُم وَقَد أَرى.....غِوايَتَهُم وَأَنَّني غَيرُ مُهتَدي

وَهَل أَنا إِلّا مِن غَزِيَّةَ إِن غَوَت.....غَوَيتُ وَإِن تَرشُد غَزِيَّةُ أَرشَدِ[3].

وكذلك من القيم التي اعتز بها الفخر القبلي النفرة الدائمة إلى الحرب والأخذ بالثأر: لما كانت حياة البدو قلقة لا تعرف الاستقرار فإن هذا القلق فرض على الجاهليين أن يكونوا متحفزين للقتال على نحو دائم» واترين موتورين: واترين يطالبهم خصومهم بدماء أبنائهم أو موتورين يطالبون غيرهم بدماء قتلاهم، عاهدوا السيوف على أن يطعموها من لحمهم أو من لحم أعدائهم؛ إن حياتهم قسمان :

---

[1] - الأدب الجاهلي ، غازي طليمات ،عرفان الأشقر ، دار الفكرة بيروت ، ط١ ، ص ١٨٥

[2] - الأصمعيات، عبد الملك بن دريد الأصمعي ، تح : احمد محمد شاكر ، عبد السلام هارون :١٠٧

[3] - المرجع السابق، الأصمعي : ١٠٧

(الأول الإغـارة: الثـاني رد الإغـارة)،فهـي لـذلك شـقاء دائم،وتـوتر مسـتمر، وعنف موصول بعنف وهم بذلك كله راضون[1] . قال دريد بن الصمة :

فَإمّا تَرَينا لا تَزالُ دِماؤُنا....لَدى واتِرٍ يَسعى بِها آخِرَ الدَهرِ

فَإنّا لَلَحمُ السَيفِ غَيرَ نَكيرَةٍ....وَنَلحَمُهُ حيناً وَلَيسَ بِذي نُكرِ

يُغارُ عَلَينا واتِرينَ فَيُشتَفى....بِنا إن أُصِبنا أَو نُغيرُ عَلى وِترِ

بِذاكَ قَسَمنا الدَهرَ شَطرَينِ قِسمَةً.....فَما يَنقَضي إلّا وَنَحنُ عَلى شَطرِ[2].

هـذه الأحـداث الداميـة غرسـت فـي نفـوس العـرب شـجرة خبيثـة» يصـعب اجتثاثهـا، أو تشـذيب فروعهـا الشـائكة، وهـي الأخـذ بالثـأر، وإذا كانـت الحضـارة تسـتنكر هـذه الخلفيـة البدويـة فهـذه الخلفيـة لـم تكـن فـي العصـر الجـاهلي مسـتنكرة، بـل كانـت مـأثرة مـن المـآثر تعتـز بهـا القبائـل، وتجـد فـي التزامهـا غايـة التماجـد. أغـارت بنـو عـبس علـى ربيعـة بـن مالـك بـن حنظلـة، فـأتى الصـريخ بنـي يربـوع، فأصـرخوه، وركبـوا فـي طلـب بنـي عـبس وجـدوا فـي الطلـب حتـى أدركهـم؛ فوقعـت بـين الفـريقين مقتلـة عظيمـة، ثـأر فيهـا فريـق مـن فريـق فقـال شـميث بـن زنبـاع : يفـاخر بمـا فعلـه قومـه، ويعـدد أسـماء الـذين قتلوهم انتقاماً وشفاء لأنفسهم من الغلّ :

سائل بنا عبسا إذا مالقيتها....على أيّ حيّ بالصّرائم دُلَّتِ

قتلنا بها صبرا" شريحا وجابراً.....وقد نهلت منها الرّماح وَعَلّتَ

فأبلغ أبا حُمْرانَ أنَ رماحنا.....قضت وطراً من غالب وتغلّت [3].

تلحـظ الدارسـة: أن الشـاعر الجـاهلي يسـمو ويفخـر بـذكر أسـماء قـتلاهم اعتـزازا بهم،ظانـاً أن هـذا يشـفي للغـل الـذي فـي صـدورهم، كمـا يحـرض قومـه علـى الأخـذ بالثأر، مساعد على غرس الخبث في قلوبهم ضد أعداءهم، ويشجعهم على ذلك. ومـا عقبنا به على الأخذ بالثأر في الفخر الفردي يمكن تعميمـه علـى الفخـر القبلـي، وهـو أنّ العرب بعد الاقتتال كـانوا يندمون؛ ويبكـون قتلاهم ويأسفون علـى الصـلات التـي تقطعـت، والسـلام الـذي غالتـه الحـرب والقرابـة التـي غـدت عـداوة، حينئـذ تنقلـب المفخرة بالمجزرة إلى مفخرة فاجعة موجعة، قال أنيف بن زبان النبهاني :

ولمّا عصينا بالسّيوف تقطّعت.....وسائلُ كانت سِلماً حبالُها

---

[1] - الأدب الجاهلي، طليمات الأشقر:١٨٦

[2] - المرجع السابق، الأصمعيات : ١٠٧،١٠٨

[3] - الأدب الجاهلي،غازي طليمات وعرفان الأشقر:١٨٦،١٨٧

وربما كانت المنصفات أروع مافي هذا الشعر، وأحفله بمشاعر إنسانية راقية، وأبعده عن الحقد والكراهية، في هذا النمط من الشعر تخفت أصوات الفخر، وتنسرب قصة الأخذ بالثأر في منسرب إنساني وتضعف العصبية القبلية، وتمازج العداوة الصداقة، والاحتقار، الإكبار، ويصور العدو اللدود بصورة الصديق الودود، ويضع الشاعر نفسه موضع خصمه[1].

فيعبر عمّا في نفس الخصم فإذا الذي يحشه الفريقان واحد؛ وإذا العداوة التي تلمع في الظبا والأسنة برق خلب» يومض ثم ينطفئ.

وأشهر المنصفات قصيدة المفضل النكري في الحرب التي وقعت بين قومه بني كوكيز، وأعداء قومه بني لجيم، ولم تتمخض عن نصر لأحد الفريقين، وقد صور المفضّل الحرب من بدايتها إلى نهايتها تصوير المؤرخ العادل المتجرد من الهوى، البريء من التعصّب والحقد، فذكر أنه قتل فيها من الفريقين سادة نجب أكلت الضواري من لحومهم حتى أتخمت، وناحت عليهم نساء القبيلتين حتى شرقن بدموعهن، وجفت حلوقهن ثم انتهت المعركة نهايتها المفجعة، وهي الحسرة القاتلة، والندم الشديد على ما قطعت الحرب من وشائج، في صراع أرعن لم يستطع المتحاربون أن يدركوا رعونته إلا في نهاية المعركة، وحينما أدركوها ندم قوم الشاعر وأبقو اعلى البقية الباقية من بني لجيم أعدائهم الأصدقاء وأقربائهم الذين لهم عليهم حقوق، فكان نصرهم على إضغانهم أجدر بالفخر من نصرهم على إخوانهم[2].

قال المفضّل :

فَأشْبْنا السّباع وأشبعوها.... فراحث كلّها تئقّ يَفوقئ

ابا نِساءَهُمْ ، وأبكَوَا..... نساء ما يِسُوغ' لهن' ريق

فلمًا استيقنُوا بالصَّبْر مِنَّا.....تذْكَرَتِ العَشَائِرُ والحزيئ

فَأبَقينا ولو شئنا تركَنا....لَجَيْما لا تفوذ ولا تسئوق[3]"٢

وكذلك من القيم السطوة على الملوك : يروق القبائل العربية القوية أن تفاخر الملوك؛ وأن تجاهر بالخروج على سلطانهم؛ وتعدّ هذا المسلك من المفاخرة والمجاهرة ضر بأمن الأنفة والحميّة الجاهلية.

---

[1]- الأدب الجاهلي ، ،طليمات الأشقر: ١٧٨

[2] - المرجع نفسه : ١٨٨

[3] - الأصمعيات : ٢٠٢،٢٠٣ .

كانت قبيلة تغلب من القبائل العزيزة وكانت على خلاف مع بكر يعود إلى حرب البسوس، وقد حاول ملوك الحيرة أن يصلحوا بين القبيلتين الكبيرتين، وأن يسطوا سلطانهم الرمزي، وهيبتهم السياسية عليهما وعلى غيرهما من القبائل، فرفضت تغلب، وهب شاعرها جابربن حنيّ التغلبي يفاخر وينافر، ويزعم أن الملوك لايجرؤون على أن ينتكهوا شرف تغلب لمنعتها [1].

وهيبتها المفروضة على الناس، فهذه القبيلة تحب أن تعيش الملوك معايشة الأنداد والأقران، تسالم العادل، وتحارب الجائر وتستبيح دمه، وإذا خطر لملك من الملوك أن يحقرها أو يحاول إيذاءها فليعلم أنها ستحُيَيّهِ تحية قاتلة، كما فعلت بأمثاله من قبل. جابر بن حنى :

أَلا تَستَحي مِنّا مُلوكٌ وَتَتَّقي....مَحارِمَنا لا يَبْوُءُ الدَمُّ بِالدَمِ

نُعاطي المُلوكَ السَلمَ ما قَصَدوا بِنا....وَلَيسَ عَلَينا قَتلُهُم بِمُحَرَّمِ

وَكائِن أَزَرنا المَوتَ مِن ذي تَحِيَّةٍ.....إِذا ما اِزدَرانا أَو أَسَفَّ لِمَأثَمِ[2].

الأنساب والأمجاد : ومفاخرة الملوك تقضي بالشاعر الجاهلي إلى المفاخرة بالمجد القديم، والحسب العريق، وربّما كان هذا المضرب من الفخر نوعاً من الصراع بين النظامين الملكي والقبلي، أي نوعاً من الصراع بين القبائل التي تعودت الغزو والملوك الذين يسعون إلى بسط سلطانهم على القبائل، أو بين وعورة الخلق عند الأعراب والمكر الذي يتخلّق به الملوك[3] . فاخر يزيد بن الخذاق الشني النعمان بن المنذر فذكر تقلب النعمان، وميله إلى المكر ومحاولته أن ينال من قوم الشاعر الذين ينتمون إلى بني نزار أصحاب النسب الشريف والمجد المؤثل والأنفة الشديدة، فقال يزيد:

نُعمانُ إِنَّكَ خائِنٌ خَدِعٌ....يُخفي ضَميرُكَ غَيرَ ما تُبدي

فَإِذا بَدا لَكَ نَحتُ أَثلَتِنا.....فَعَلَيكُما إِن كُنتَ ذا حَرَدِ

يَأَبى لَنا أَنّا ذَوو أَنَفٍ....وَأُصولُنا مِن مَحتِدِ المَجدِ [4].

---

[1] - الأدب الجاهلي ، طليمات الأشقر:١٨٨،١٨٩.
[2] - لغة الشعر في المفضليات،ميساء صلاح وادي السلامي :٢٠
[3] - المرجع السابق،طليمات الأشقر:١٩٠
[4] - الادب الجاهلي،شوقي ضيف: ٢٠٢،٢٠٣

الفصل الثاني/ الفخر عند الشاعر عمرو بن كلثوم :

إن الأحكام النقدية التي وصلت إلينا عن شعر عمرو بن كلثوم تبدأ من وجود المعلقة ضمن القصائد السبع الطوال التي اشتهرت بالمعلقات ولم يختلف عليها مثل غيرها مما استبعد في بعض الروايات،بل إن هناك إجماعا على أفضليتها ضمن قصائد العصر الجاهلي ومعلقاته [١].

ثم إن بعض العلماء من يجعلها في مقدمة القصائد السبعة فيورد أبو زيد القرشي ت (١٧٠)هـ بابا في صفة عمرو بن كلثوم ويعرض فيه لرأي عيسى بن عمر يقول (لو وضعت أشعار العرب في كفة وقصيدة عمرو بن كلثوم في كفة لمالت قصيدة عمرو بأكثرها).[٢]

ويروى عن الكميت بن زيد الأسدي أنه قال: (عمرو بن كلثوم أشعر الناس) .

وإذا أردنا مناقشة ذلك الرأي للكشف عن معايير هذا الحكم فإننا نجد أن تفضيل هذه المعلقة من خلاله يتوجه نحو موضوعها وطولها ولم يكشف عن القيمة الفنية لشعره،حيث استمدت المعلقة مكانتها من مكانة موضوعها وهو (الفخر والحماسة) في العصر الجاهلي ، فنجد طبقات الشعراء الجاهليين لدى ابن سلام الجمحي عشرة، يشغل عمرو بن كلثوم أول أربعة الطبقة السادسة [٣].

على الرغم من أن جميع شعرائه فحول، وكذلك حين يوضح ابن أبي طاهر طيفور (٢٠٤-٢٠٨)هـ ٤ . صاحب كتاب (المنظوم والمنثور) المعايير التي تم اختيار هذه القصائد عليها بأنها أفضل قصائد الجاهلية نجد معيار الطول يبرز(فيها جميعا)، ثم يذكر معايير: كثرة المعاني، والانفراد بمحاسن ، والخاتمة البليغة، والانفراد في الوزن والعروض ،ويأتي على كل معيار باسم أحد الشعراء الذين أوردوه في معلقتهم، ولم يخص معلقة عمرو ابن كلثوم بسمة منها،فكأن السمة البارزة فقط لديه هي المشتركة بين المعلقات جميعا وهي (الطول).

---

[١] - أنظر، تاريخ النقد الأدبي عند العرب،إحسان عباس:٦٢

[٢] أنظر، جمهرة أشعار العرب،أبو زيد القرشي، تح محمد علي بجاوي:٨٧

[٣] - أنظر طبقات فحول الشعراء، محمد بن سلام الجمحي، تح محمود محمد شاعر :١٥١

ويورد د. شوقي ضيف مكانة شعر عمرو بن كلثوم في موضوعات الشعر حينما يتحدث عن الفخر والحماسة أهم موضوعات الشعر الجاهلي، وما تحمله من التغني بالبطولات والاستبسال في المعركة والدفاع عن القبيلة وحمايتها » ويذكر معلقة عمرو بن كلثوم من روائع هذا الباب لأنه (يصيح فيها بانتصارات قومه وأيامهم المعلمة)[1] . وكذلك يُلمّح جامع ديوانه إلى قيمة شعره الأدبية دون توضيح لمعايير هذه القيمة فنيا ثم يبرز قيمته التاريخية[2].

من خلال هذه الآراء يكون عمرو بن كلثوم قد نظم قصيدة من أطول قصائد الشعر الجاهلي في أهم موضوعاته وأكثرها تعبيرا عن حياتهم المليئة بالحروب والأمجاد، أي إن هذه الآراء تحدد له مكانة شعره بما يحمله من القيمة التاريخية، كما تعد قصيدته مرجعا لمعاني الفخر لدى الشعراء .

ويتميز فخره عن غيره من الشعراء الجاهليين بأن القبيلة هي قضيته التي تشغله بخلاف قضية عبودية عنترة أو ذاتية امرئ القيس، وهما نموذجان من شعراء عصره الفرسان.

ويؤيد ذلك تقديم الزوزني صاحب شرح المعلقات السبع لمعلقته ببيان مضمونها بقوله : (وفي هذه المعلقة عدّد الشاعر مفاخر قوم التغلبيين،ودافع عن حقوقهم، ورد مزاعم أعدائهم ، فعظمها بنو تغلب ورواها صغارهم وكبارهم حتى هُجوا بها)[3] .

كما تؤكده وتوضحه شهادة أبي هلال العسكري عن عمرو بن كلثوم بقوله : (ولا أعرف في افتخار الجاهلية أجود ولا أبلغ من قول عمرو بن كلثوم :

ونحن الحاكمون إذا أطعنا وفحن العاتفون إذا عصيتا

ونحن التاركون لما سخطنا ونحن الآخذون لما رضينا)[4].

---

[1] - العصر الجاهلي،شوقي ضيف:٢٠٢

[2] ديوان عمرو بن كلثوم،إميل بديع:٢٠

[3] أنظر شرح المعلقات السبع، الزوزني:٢١٣

[4] - ديوان المعاني،أبو هلال العسكري ، تح : أحمد حسن بسيج :٩٠

يتجسد فخر عمرو بن كلثوم في محورين : قصته مع عمرو بن هند ثم شعره :

أولا: في سياق الفخر القبلي تستدعى قصة عمرو بن كلثوم مع عمرو بن هند ولاسيما لدى شعراء تغلب، فخرا بقتله عمرو بن هند وابائه الذل والعار، فيأتي أفنون التغلبى مجسدا صورة القتل بقوله (من الطويل)[1] :

لعمرك ما عمرو بن هند وقد دعا لتخدم ليلى أمه بموفق

فقام ابن كلثوم إلى السيف مصلتا فأمسك من ندمانه بمختّق

وجلله عمرو على الرأس ضربة بذي شطب صافي الحديدة رونق

وكانت هذه القصة مدعاة للفخر لدى شعراء النقائض ومنهم الفرزدق في العصر الأموي يقول : ويرد على جرير في هجاء الأخطل (من الكامل)[2] :

ما ضر تغلب وائلٍ أهجوتها أم بلت حيث تناطح البحران

قوم هم قتلوا ابن هندٍ عنوة عمرا، وهم قسطوا على النعمان

ثانيا :قدم شعر عمرو بن كلثوم نفسه ما يؤسس لقصيدة الفخر حيث عبر شعر عمرو بن كلثوم عن معاني الفخر وسننه من خلال المعلقة،وكذلك من خلال المقطوعات التي ثبتت نسبتها إليها وأخذها عنه غيره :

١- الفخر بالنسب: وأمجاد الأجداد والآباء والأعمام والأخوال ففي المعلقة يقول : (من الوافر)[3] :

ورثنا مجد علقمة بن سيف أباح لنا حصون المجد دينا

ورثت مهلهلا والخير منه زهيرا نعم ذخر الذاخرينا

وعتّابا وكلثوما جميعا بهم نلنا تراث الأكرمينا

وفي بائية له (من المنسرح) يقول:

إن تسألي تغلبا واخوتهم ينبوك أني من خيرهم نسبا

أنمي إلى الصيد من ربيعة وال أخيار منهم إن حصلوا نسبا

---

[1] - شرح المعلقات، للزوزني :٢١٣

[2] - المرجع السابق، الزوزني:٢١٠،٢٠٩

[3] ديوان عمرو بن كلثوم،إميل بديع: ٨٠،٨١

وفي مقطوعة لامية (من الكامل)[1] :

ما بامرئ من ضُؤْلةٍ في وائل ورث الثوير ومالكا ومهلهلا

خالي بذي بقر حمى أصحابه وشرى بحسن حديثه أن يقتلا

ذاك الثوير فما أ حب بفضله عند التفاضل فضل قوم أفضلا

عمي الذي طلب العداة فنالها بَكَرا فجللها الجياد بكنهلا

وأبي الذي حمل المئين وناطق ال معروف إذ عيّ الخطيبُ المفصلا

ويوظف عامل النسب هذا في فخر عمرو بن كلثوم في بعض دراسات المعلقة أنه يمثل سلطة الذات المندمجة بالقبيلة فتوفر الحماية وتساهم في تأسيس صورة البطل وترسيخ حضوره الذي يتشكل فيه الحضور الذاتي/ القبلي بمفهوم واحد[2]. وهو ما يتفق مع صورة الذات الجماعية التي بلورها ابن كلثوم والتي يمثلها نسب القبيلة والأمجاد التي حققها كل من أصحاب هذا النسب.

٢ – الظعائن : اصطحاب النساء في الحرب تحفيزا، ودفاعا عن الحرم يقول :

على آثارنا بيضٌ حسان نحاذر أن تقسّم أو تهونا

وقد ورد الحديث عن المرأة في معلقة عمرو في ثلاثة مواضع (موضع الساقية،وموضع الراحلة، وموضع المقيمة في الحرب) اثنين متواليين في البداية وثالث قرب انتهائها . وقد بالغ د . عليمات في توصيف كل موضع عند الشاعر بمثابة سلطة في قراءته التفكيكية للمعلقة ،بينما نرى أن الظعينة المقيمة هي التي تمثل عاملا من عوامل قصيدة الفخر .

ومن المعاني التي وردت في حديث الظعينة وتبين تميز شعر عمرو وتأثيره في غيره فيما يؤكد منعة نسائهم عن السبي، بينما يسبون نساء أعدائهم حتى غدا الناس كلهم أبناءً لهم كما يبدو في معلقته(من الوافر)[3].

كأنا والسيوف مسللات ولدنا الناس طرا أجمعينا

---

[1] - ديوان عمرو ، تح إميل بديع : ٥٢

[2] - أنظر، تمثيلات السلطة قراءة تفكيكية في معلقة عمرو بن كلثوم، محمود عليمات: ٢٠٨

[3] - المرجع السابق

٣ - الخيل : من سنن قصيدة الفخر أن يورد الشاعر حديث الخيل ويصفه في الحرب كما يعبر عن حال الفارس وقد سبق شعر عمرو غيره في الحديث عن الخيل .

فخيل عمرو، خفيفة الشعر معمرة، ورثها وقومه، وسيورثونها أبناءهم، وهيئتها في الحرب تعكس تهيؤ قبيلته،لأنها تدخل الحرب مدرعة وتخرج غبراء من شدة بلائها ، يقول في المعلقة[١] :

وتحملنا غداة الروع جرد عرفن لها نقائذ وافتلينا

ورّدن دوارعا وخرجن شعثا كأمثال الرصائع قد بَلينا

ورثناهن عن آباء صدق ونورثها ! إذا متنا بنينا

وله في الخيل عدة مقطوعات تبين تكامل شعره في تصوير الخيل بين المعلقة وغيرها ففي بائية له يقول (من الوافر)[٢] :

جلبنا الخيل من كنفي أرِيكِ عوابس يطلعن من النقاب

كأن إناثها عقبانٌ دجن إذا طوئطئن في بلدٍ يباب

صبحناهن عن عرض تميما وأتلف ركضنا جمع الرباب

فأفنينا جموعهم بثأج وكرت بالغنائم والنهاب

فكم عفرن من وجه كريم غداة لقيتهم والنقع كاب

كما يذكر عمرو الخيل في المعنى ذاته في رائية مبينا صفة الخيل وضمورها. (من الوافر)[٣] :

جلبنا الخيل من جنبي أريك إلى القنعات من أكناف يعر

ضوامر كالقداح ترى عليها يبيس الماء من حوٍّ وشقر

نؤم بها بلاد بني أبينا على ما كان من نسب وصهر

---

[١] - ديوان عمرو بن كلثوم،إميل بديع: ٨٥
[٢] - المصدر السابق : ٢٧
[٣] :المصدر السابق: ٤٥،٤٦

ويصف عمرو بن كلثوم بلاءه في الحرب ويكني عن ذلك بتغير حال الخيل بين بدء المعركة ،وانتهائها بعد انتشار الغبار وفي المعنى أيضا يقول (من الوافر)[1] :

جلبنا الخيل من جنبي أريك سواهم يعتزمن على الحُبار

نزائغ للغراب بها تبارى خوارج كالسمام من الغبار

صبحنا هن يوم الأتم شعثا فراسا والقبائل من غفار

فالخيل ضامرة، دليل على جودتها وسرعتها،عازمة على خوض أنواع الأرض السهلة أو الصلبة، سواهم من أثر المعركة.

٤ – المنصفة : يبرز لدى عمرو بن كلثوم (إنصاف الخصم بذكر ما له من مكانة بين أهله و بلائه وشجاعته في اللقاء وحزن نسائه عليه حينما يقتلك) ففي رائية له يقول (من الوافر)[2] :

تركت نساء سأعدة بن عمرو عليه حوسرا وسط الديار

فجعتهم بخيرهم نديما وأطعمهم لدى قحط القطار

وفي المعلقة يصف القتلى من الأعداء بالأبطال يقول :

كأن جماجم الأبطال فيها وسوق بالأماعز يرتمينا

ومن إنصاف الخصم في المعركة قوله في اشتداد القتل بين الفريقين[3] :

كأن سيوفنا فينا وفيهم مخاريق بأيدي لاعبينا

وفي هذا البيت اعتراف بشجاعة أعدائه .

ويلحظ محلل المعلقة تلك الظاهرة تأكيدا لما عرضناه يقول[4]: (وليس في القصيدة ما يفهم منه تنقص الأعداء ولا ذمهم أو استضعافهم وإن ذكر الغلب والانتصار عليهم) .

---

[1] ديوان عمرو بن كلثوم،إميل بديع: ٤٨

[2] المصدر السابق: ٤٨

[3] - المصدر السابق:٧٦

[4] معلقة عمرو بن كلثوم دراسة تحليله،الغوث : ٧٦

٥ ــ الشجاعة : يعرف عن عمرو بن كلثوم أنه ضرب به المثل في الفتك فيقال : (أفتك من عمرو) لفتكه بعمرو بن هند .وبالرغم من ذلك يسود خطابّه الأنا الجماعية وقوةُ القبيلة في حماية من يحتمون بهم وإخافة الأعداء، فيقول :معبرا عن مصدر الشجاعة والحافز لها وهو الإنفاق على العشائر وتحمل أعبائهم والدفاع عنهم في المعلقة[١] :

نعم أناسنا ونعف عنهم ونحمل عنهم ما حملونا

وهنا أيضا يشير إلى مساندة تغلب لعمرو بن هند وينذره بالتخلي عنه حينما تشتد الحرب لأن تغلب لم تعد تحميه فيقول في قصيدة من ثمانية أبيات يهجو عمرو بن هند (من الوافر) .[٢] :

ستعلم حين تختلف العوالي من الحامون ثغرك إن هويتا

ومن الشجاعة قتل الأعداء، ولقرب القتل من نفوس الفرسان عبر عنه عمرو بالقرى، وزيادة في حبه يسرع به جنود الشاعر فيعجلون إطعام العدو تطبيقا لعادة الكرم الجاهلي، فالكرم في المعركة يعني التعجيل بقتل الأعداء فيقول ابن كلثوم في المعلقة[٣].

نزلتم منزل الأضياف منا فأعجلنا القرى أن تشتمونا

قريناكم فعجلنا قراكم قبيل الصبح مرداة طحونا

وتبدو لنا طرافة التصوير لدى عمرو في اتباع آداب الضيافة بالإسراع في تقديم الطعام ولكنها هنا تتمثل في قرى الضيف اما في المعركة (قتله).

ومن أهم ما يميز الفخر القبلي العربي ألفة القتل واعتياده وعدم الفزع منه، ومن ذلك قوله :

معاذ الإله أن تنوح نساؤنا على هالك أو أن نضج من القتلِ

---

[١] شرح المعلقات،الزوزني : ٢٠٣
[٢] ديوان عمرو بن كلثوم،إميل بديع : ٢٩
[٣] المصدر السابق : ٧٣

٦ – **العفــة :** ومــن أبــرز معــاني الفخــر عــدم الاعتــداد بالنهــاب والســبي، والاهتمـام بـالبلاء القـوي فـي المعركـة فحينمـا يشـترا معهـم أحلافهـم يفخـر بمـا جلب قومه من نصر بينما يفخر الآخرون بجلب بالغنائم ، يقول[١] :

فآبوا بالنهاب وبالسبايا وأبنا بالملواك مصفدينا

وممـا يثيـر الدهشـة تتبـع الخالـديين لإثبـات سـبق قـيس علـى عنتـرة بينمـا ابـن كلثـوم الأقـدم، فمـادام ابـن كلثـوم أقـدم منهمـا ومعنـاه جيـد فهـو السـابق وهـو صـاحب الأثـر و بيتـا قـيس وعنتـرة يشـهدان بـأثر شـعر عمـرو بـن كلثـوم فـي شـعراء الفرسـان كمـا لقـبهم د . شـوقي ضـيف ولا سـيما عنتـرة، حيـث أصـبح عنترة الآن تلميذا لعمرو بن كلثوم في مفهوم العفة في الحرب .

٧ – **الحــرب وأدواتــه** : السـيف أكثـر أدوات الحـرب ظهـورا فـي شـعر الحماسـة، وهـو جـزء أساسـي فـي فخـر عمـرو بـن كلثـوم، وحركـة السـيف فـي المعركـة وردت لـدى عمـرو بـن كلثـوم فـي تشـبيه طريـف جعلـه أبـو هـلال العسكري (أبلغ ما قيل في إعمال السيف) [٢] وهو قوله :

كأن سيوفنا فينا وفيهم مخاريق بأيدي لاعبينا

وتبـدو لنـا بـذلك براعـة المعنـى وبلاغـة التعبيـر عـن اسـتخدام السـيف متمسـكا بإنصـاف الخصـم، وابتكـار التشـبيه مـع الفخـر الجمعـي لـدى عمـرو إضـافة إلـى التعبيـر الحركـي السـريع النـاتج عـن تبـادل السـيوف بـين الفـريقين كمـا يجسـده التشـبيه، بحيـث أصـبح السـيف لشـدة مرونتـه يشـبه المخـاريق (المناديـل يلعـب بها الصبية).

بينمـا أسـند اللاحـق السـيف إلـى نفسـه فهـدأت حـدة حركـة السـيف عنـد الأخيـر عنهـا عنـد الأول، لهـذا يبـدو تعبيـر عمـرو ألصـق بـالفخر والحماسـة وأصـدق في التعبير عن واقع النزال بين الطرفين وبذلك تتجسد روعة التصوير .

---

[١] - ديوان المعاني ،عمرو: ٨٣

[٢] ديوان المعاني، تح : احمد حسين بساج الجزء٢ :٥٠

ومن أثر إعمال السيوف عنده تحصن الأقوام وأمنهم كما يبدو في قوله (من الطويل)[1] :

قراغ السيوف بالسيوف أحلَّنا بأرض براح ذي أراك وذي أئلِ

يؤكد أن أثر السيوف وصبرهم في المعركة أحلهم في أرض رحبة لا يحتاجون فيها إلى حصون وقلاع. وقال عمرو في هذا المعنى أيضاً :

لنا حصونٌ من الخطّيّ عالية فيها جداولٌ من أسيافنا البُثْرِ

فمن بتى مَدرا من خوف حادثة فإنّ أسياقنا تُغني عن المَدرِ

وقد جوّد هذا الشاعر وما قصّر وأصاب تشبيه السيوف إذ جعلها مثل الجداول لكثرة مائها وائتلافها ثمّ ذكر أنَّها تغني عن الحصون المبنية من المدر).

وليس ببعيد هذا التشبيه عن شعر ابن كلثوم الذي شبه السيوف بالغدران في قوله[2] :

كأن غضونهن متون غدر تصففها الرياح إذا جرينا

يشبه متون الدروع بمتون الغدران، وطرائق الدروع تشبه موجات على سطح الماء إذا هبت الريح، وكلما اشتدت الحرب زاد بريق الدروع كبريق الماء حينما تهزها الرياح ، فاشتداد المعركة في الدروع يفعل فعل الرياح في الماء، وهو بذلك ينهل تشبيهاته من الطبيعة .

ويتسع الحديث عند عمرو بن كلثوم لما ينفق في الحرب وأدواته وخيلها، في قوله (من الطويل) :

فما أبقت الأيام مِلمالٍ عندنا سوى جِذُم أذوادٍ محذفة النسل

ثلاثة أثلاث فأثمان خيلنا وأقواتنا وما نسوق إلى القتل

وهذه الفقرة مما بدا أثره لدى كثير من الشعراء في الإنفاق على الحرب، وهذه قيمة جاهلية تخص الأنا الجماعية عند عمرو.

---

[1] ديوان عمرو،إميل بديع:٥٤

[2] المصدر السابق : ٥٩ .

وفي قوله ثلاثة أثلاث ...قيمة يبرزها الخالديان بقولهما :(وقوله : " فما أبقت الأيام " البيت والّذي يليه، فقد جوّد فيما ذكر وأحسن القسمة في البيت الأخير إذ جعل جمالهم ثلاثة أقسام، فقسم يُصرف في أثمان الخيل إذ كانت حصونهم التي يلجئون إليها ويبلغون بها الغايات ويدركون بها الترات، وقسم في أزوادهم وأقواتهم وما يقرون ضيوفهم، وقسمّ يسوقونه في ديات من يقتلون، ولا نعلم أحداً اتّفق له في بيت واحد ولا أبيات كثيرة كما اتّفق لهذا من صحة القسمة وشرح الأبواب التي تصرف فيها.)[1]

وهنا تبدو لنا سمة فنية سبق بها عمرو بن كلثوم أبا تمام وابن الرومي وهي (تقسيم المعاني) بصورة منظمة قبل الاطلاع على فكر أو منطق يوناني، فهو بذلك يؤكد أنه شاعر العاطفة والارتجال، ولكنه يستطيع أن يحكم التعبير عن هذه القسمة، وهذا دليل على تفوقه وتمكنه .

وكما عبر عن الإنفاق من خلال ما تحتاجه القبيلة بضمير الجمع يعبر عن عدم حرصه على المال في غير المعلقة بالأنا الفردية أيضا في خدمة الأنا الجماعية: فالأنا الفردية عند عمرو بن كلثوم قليل وجودها في خطابه مقارنة بالأنا الجماعية في غير المعلقة، ع ولكنها تقترب من نفس الشاعر وتصور عاطفته الخاصة التي تتفق مع العاطفة الجماعية في منطق البذل والفروسية، فالبذل هنا للنفس أقوى من بذل المال وهو لا يبخل بكليهما فيقول (من الرمل)[2] :

لا تلوميني فإني متلف كل ما تحوي يميني وشمالي

لست إن أطرفت مالا فرحاً وإذا أتلفته لست أبالي

يخلف المال فلا تستيئسي كري المهر على الحي الحلال

وابتذالي النفس في يوم الوغى وطرادي فوق مهري ونزالي

وسموي بخميس جحفل نحو أعدائي بحلي وارتحالي

[1] الأشباه والنظائر ، من أشعار المتقدمين ، والجاهلين ، والمخضرمين ، أبو بكر الخالدي ، تح : محمد على دوقة : ٣٩،٤٠

[2] - معجم الشعراء،المرزباني ، تح : فاروق أسليم : ٢٠٣

يضاف إلى أدوات الحرب كذلك صفاتها وأسماؤها، فالرماح (سمر) دليل على نضجها في منابتها، والسيوف بيض لحدتها ولمعانها، والبيض واليلب اليماني وسابغة دلال (الخوذة شديدة اللمعان) والأبطال معه دائمو الاستعداد للحرب عليهم دروعهم وأدواتهم مما أثر على جلودهم بالسواد في مواضع لبسها لتأثره بصدأ الحديد

علينا البيض واليلب اليماني وأسياف يقمن وينحنينا

علينا كل سابغة دلاص ترى فوق النطاق لها غضونا

٨- **دروس في الحرب :** من الملاحظات التي تلفتنا التعبير عن بعض مبادئ الحرب بصيغة زمنية مضارعة، تختلف عن مبادئ الفخر وأحداثه الماضية، وكأنه يريد أن يلفت الشباب والفتيان إلى بعض قواعد الحرب فيقول[١] :

١- نطاعن ما تراخى الناس عنا ونضرب بالسيوف إذا غشينا

فيبين متى يطعن ومتى يضرب بالسيف. ثم يوضح أن حالة الحرب ووقت الهجوم يتنوعان بحسب تأمين النساء والأطفال أو الخشية عليهم، فيقول:

٢ – فأما يوم خشيتنا عليهم فتصبح خيلنا عصبا ثبينا

وأما يوم لا نخشى عليهم فنمعن غارة متلبيينا

ثم يأتي بيته الأشهر [٢].

٣ – ألا لا يجهلن أحد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا

وعلى الرغم من أنه نسب الجهل (السفه) إلى نفسه فإنه بين منطق العقاب والقسوة في الحرب في العصر الجاهلي بتعبير لم يسجل في الأذهان أقوى منه. ولعل الحدة والقسوة التي بدت في تركيب البيت عند عمرو بن كلثوم تفسر تصنيف الحديث عن أدوات الحرب عند عمرو في تجسيد سلطة الآخر القبلي المضاد وأنه وقومه بارعون في قمع هذه السلطة والفتك بها.

---

[١] ديوان عمرو،إميل بديع: ٨٤

[٢] ديوانه، : ٧٤،٧٤

الخاتمة

وفي ختام هذا البحث (الفخر في الشعر الجاهلي عمرو بن كلثوم أنموذجاً) لا يمكن أن أصف السعادة التي تغمرني وأنا أدون خاتمة بحثي، وعملي الذي عكفت عليه منذ الكثير من الوقت، وأخذ مني الكثير من الجهد البدني، والفكري، ولكن كل ذلك التعب قد تلاشى عندما رأيت الآن ثمرته بين يدي،سائلين المولى -عزَّ وجلَّ- أن يجعل أعمالنا جميعها خالصة لوجهه الكريم، وأن يجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، اللهمَّ لك الحمد فيما يسَّرت، والحمد لله رب العالمين.

أما بعد

ومن أهم النتائج التي توصلت إليها في بحثي المتواضع هذا :

أولا: حرص الشعراء الجاهليين على تطور غرض الفخر، كما كان الفخر له الأثر الكبير في قوة الشاعر الجاهلي وأظهار الملكة الشعرية لديه وتغذيتها.

ثانياً: يهتم غرض الفخر في الشعر الجاهلي بدراسة مزايا الشاعر وقومه وإظهار عيوب الشعراء الأخرين ،وانتقادها وقد أشار بعض الشعراء إلى عيوبهم على أنها مزايا تميزهم عن غيرهم كعنترة وغيره.

ثالثاً: ومن أهم الاتجاهات في الفخر الجاهلي المفاخرة بالأنساب والأمجاد وكان ذلك نتيجة الصراع بين النظامين الملكي والقبلي.

رابعاً: هدف الشاعر عمرو بن كلثوم من إنشاد أشعاره، التي بُنيت على الفخر الحماسي،والفخر الذاتي،والفخر الديني، هو الفخر بشرف قومه وعظمته.

خامساً: يعكس الشاعر فخره في شعره بالبطولة وانتصارات قومه في ساحة القتال، وتحقير العدو، والفخر بنساء قومه، والفخر بتعاطي الخمر ، و الفخر بجياد قومه الجامحة.

سادساً: هو في الفخر الحماسي ،الذي يشمل جانبا كبيرا من شعره، يتطرق إلى الشجاعة والانتصارات في ساحة القتال و ارادتهم القوية في الحروب و تهديد الملك و تحقيره.

سابعاً: يعكس الشعر في فخره الذاتي إلى الخصائص الحميدة التي ورثها من أجداده، كالشجاعة والكرم ، وشرب الخمر .

ثامناً: يفخر الشاعر بنساء قومه ، حيث جمعن جمال الصورة و السيرة ، وساعدن الرجال وقت الحروب.

قائمة المصادر والمراجع :

١- الأدب الجاهلي قضاياه، أغراضه،أعلامه،فنونه، غازي طليمات، تح: عرفان الأشقر، دار الإرشاد، حمص، ط١، (١٤١٢ه - ١٩٩٢م)

٢- الأدب الجاهلي وبلاغة الخطاب، عبد الإله الصائغ، دار الفكر المعاصر صنعاء، ط١، (١٤٢٠ه - ١٩٩٩م)

٣- أروع ماقيل في الفخر والحماسة، إميل ناصيف، دار الجيل للنشر والطباعة والتوزيع، بيروت، ط١، (١٤١٣ه - ١٩٩٥م(

٤- الأشباه والنظائر من أشعار المتقدمين والجاهلين، والمخضرمين ، أبو بكر محمد بن هاشم الخالدي، تح: محمد علي دوقة، وزارة الثقافة، سوريا، ط١، (١٤١٣ه - ١٩٩٥م)

٥- الأصمعيات، أبي سعيد عبد الملك بن قريب الأصمعي، تح: أحمد محمد شاكر،وعبد السلام هارون، دار المعارف، مصر، ط٧، (١٤١٣ه - ١٩٩٣م)

٦- الأغاني، أبو الفرج الأصفهاني، تح: الدكتور إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ط٣، (١٤٢٩ه - ٢٠٠٨م)

٧- تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي، شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، ط٢٥، (١٣٨٠ه -١٩٦١م)

٨- تاريخ النقد الأدبي عند العرب، الدكتور إحسان عباس، دار الشروق، عمان، ط٤، (١٤٢٧ه - ٢٠٠٦م)

٩- جمهرة أشعار العرب، أبو زيد القرشي، تح: محمد علي بجاوي، نهضة مصر للطباعة والنشر، (١٤٠١ه - ١٩٨١م)

١٠ - جمهرة الأمثال، أبو هلال العسكري، تح: الدكتور أحمد عبد السلام، دار الكتب العلمية، بيروت،ط١، (١٤٠٨ه - ١٩٨٨م)

١١- خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، عبد القادر بن عمر البغدادي، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط١، (١٤١٨ه - ١٩٩٧م)

١٢- خصوبة القصيدة الجاهلية ومعانيها المتجددة، محمد صادق حسن، دار الفكر العربي، القاهرة، ط١، (١٤١٨ه - ١٩٩٧م)

١٣- ديوان عمرو بن كلثوم، تح: إميل بديع يعقوب، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، (١٤١١ه - ١٩٩١م)

١٤- ديوان المهلهل بن ربيعة، تح: أنطوان محسن القوال، دار الجيل، بيروت، ط١، (١٤١٥ه - ١٩٩٥م)

١٥- ديوان بني بكر، تح: عبد العزيز نبوي، دار الزهراء، القاهرة، ط١، (١٤١٠ه - ١٩٨٩م)

١٦- ديوان الشنفرى، تح: إميل بديع يعقوب، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٢، (١٤١٧ه - ١٩٩٦م)

١٧- ديوان النابغة الذبياني، تح: حمدو طمّاس، دار المعرفة، بيروت، ط٢، (١٤٢٦ه - ٢٠٠٥م)

١٨- ديوان لبيد بن ربيعة العامري، تح: عمر فاروق الطبّاع، دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، ط١، (١٤١٧ه - ١٩٩٧م)

١٩- ديوان عنترة بن شداد، تح: حمدو طمّاس، دار المعرفة، بيروت ط٢، (١٤٢٥ه - ٢٠٠٤م)

٢٠- ديوان طرفة بن العبد، تح: مهدي محمد ناصر الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٣، (١٤٢٣ه - ٢٠٠٢م)

٢١- ديوان عامر بن طفيل، تح :محمد الجادر، وعبد الرزاق الدليمي، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ط١، (١٤٢٢ه 2001 -م)

٢٢- ديوان ابن ضرار الغطافي، تح: أحمد بن الأمين الشنقيطي، مطبعة السعادة، مصر، ط١، (١٣٢٧ه - ١٩٠٩م)

٢٣- ديوان الأعشى تح: محمد حسين، رودولف حاريد، مكتبة الآداب بالجمايز، القاهرة، ط١، (١٤٣٣ه - ٢٠١٢م)

٢٤- ديوان حسان بن ثابت، تح: عبد أمهنا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢ (١٤١٤ه - ١٩٩٤م)

٢٥- ديوان المعاني، أبو هلال العسكري، تح: أحمد حسن بسيج، دار الكتب العلمية، بيروت ط١، (١٤١٤ه - ١٩٩٤م)

٢٦- شرح ديوان زهير بن أبي سلمى، أبي العباس ثعلب، تح: فخر الدين قباوة، دار الآفاق، بيروت، ط٣، (١٤٠٠ه - ١٩٨٠م)

٢٧- شرح القصائد العشر، يحيى بن علي التبريزي، تح: فخر الدين قباوة، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط٤، (١٤٠٠ه - ١٩٨٠م)

٢٨- شرح المعلقات السبع، حسين بن أحمد بن حسين، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، (١٤١٢ه - ١٩٩٢م)

٢٩- شعر عبدة بن الطيب، الدكتور يحيى الجبوري، دار التربية للطباعة والنشر والتوزيع، بغداد، ط١، (١٣٩١ه - ١٠٧١م)

٣٠- طبقات فحول الشعراء، محمد بن سلام الجمحي، تح: محمود محمد شاعر، دار المندي، جدة ط١، (١٤٠٠ه - ١٩٨٠م)

٣١- لغة الشعر في المفضليات، ميساء صلاح وادي سلامي، تح: سعيد عدنان، جامعة الكوفة، ط١، (١٤٢٧ه - ٢٠٠٦م)

٣٢- مدخل إلى الشعر الجاهلي دراسة في البيئة والشعر، محمد زغلول سلام، منشأة المعارف، الأسكندرية، ط١، (١٤١٨ه - ١٩٩٨م)

٣٣- معجم الشعراء، أبي عبد الله محمد بن عمران المرزباني، تح: فاروق أسليم، دار صادر،بيروت ط١، (١٤٢٥ه - ٢٠٠٥م)

٣٤- المعنى في النقد العربي القديم، حسين لفتة حافظ، دار الصفاء للطباعة والنشر، عمان، ط١، (١٤٣٥ه - ٢٠١٤م)

٣٥ - النصرانية وآدابها بين العرب الجاهلية، الأب لويس شيخو، دار المشرق، بيروت، ط٢، (١٤٣٠ه - ٢٠٠٩م)